الخطاب الديني وأثره في المجتمع

د. هاشم صيّهود محمد الميّاحي
الكلية التربوية المفتوحة / بابل
dhashim1964@gmail.com

ملخص البحث :
أصبحت ظاهرة التخلف الاجتماعي والفهم الخاطئ للمسألة الدينية وتأويلاتها واحدة من المثبطات والإشكاليات التي تعترض سبل التقدم في مجتمعاتنا، وفي الوقت الذي مازلنا فيه أيضا نتخبط على مسارح الحياة ونعيش على ركائز الفكر الأيديولوجي الديني المستند إلى آليات من التخدير العام للعقل وتحطيمه، نجد الخطاب الديني القويم هو ما يعيد عربة الحياة إلى مسارها الصحيح. فالدين هو برنامج عمل وإصلاح بعكس ما يتصور البعض من أنه التزام بفرائض وواجبات وطقوس شكلية متجاهلين بقصد أو دون قصد تعاليمه الجوهرية التي تدخل في صلب الإيمان وقوته. . ومن هنا جاء هذا البحث ليؤكد على دور الخطاب الديني وفاعليته في الحفاظ على بنية المجتمع وتلاحمه وتقدمه. ولكي يكون الخطاب على هذا النحو من الوصف في التأثير والفاعلية يجب أن يكون مرتكزا على قاعدة واسعة وأكثر شمولية فلا ينبغي أن يكون محصورا بفرد دون آخر بل يجب أن يعم الخطاب كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصية أو وظيفة. .

الكلمات المفتاحية : الخطاب الديني ، آلية التوظيف ، حضورية الدين ، المجتمع ، الإنسجام الاجتماعي ، التشكيل الثقافي .

المبحث الأول
مدخل إلى الخطاب الديني

منذ أن علّم (الله) تعالى الانسان اللغة وكرّمه بتعليمه الأسماء كلّها وعرضها على الملائكة من خلال الخطاب القرآني ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(سورة البقرة: الآية ٣١). تتبين القدرة الإستيعابية للإنسان من خلال تلك اللغة الخطابية التي لم تكن قد تجلت فيه قدرة الإنسان على قابلية التلقين فحسب ، إنما في القدرة المعرفية للإنسان وعظم الأثر للخطاب نفسه من خلال القابلية على التعلم وتجسيده واقعاً ، والسؤال الذي يتبادر الى اذهاننا كثيراً هل كنا أمناء مع ذلك الخطاب السرمدي ؟ فمن يتحمل مسؤولية ضياع أجيال بأكملها هل السلطات من تتحمل ذلك ؟ أم المجتمعات ؟ أم ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدني ؟ أم الأهل والاسرة ؟ أم المؤسسة الدينية ومن يتصدى لمسؤوليتها ؟ ومن يمتلك الجرأة والشجاعة في قول الحقيقة ويتحمل مسؤوليته أزاء هذا التقهقر الاجتماعي المريع ؟ الى متى نضع اصابعنا في آذاننا ونعزف عن سماع صوت الحقيقة ؟ الى متى هذا الصمت ولا نطلق العنان لألسنتنا كيما تقول الحق والحقيقة .

أعتقد أن هذا البحث كتب ليفتح نافذة على ماهية الخطاب الديني بوصفه واحداً من الخطابات التي تبعث الأمل الى جسد الأمة المعلول وتنعش الروح التي كادت أن تفقد دورها الصحيح وعطاءها الثر لبناء المجتمع ونهضته . ولكي نتدارك أهمية وخطورة الخطاب الديني ومدى آثره في المجتمع بشكل عام لابد من أن نعرج على معرفة الخطاب والدين لغة و إصطلاحاً . فالخطاب في اللغة مأخوذ من الفعل الثلاثي خطب أي تكلم وتحدث للملأ أي لمجموعة من الناس عن أمرٍ ما أو ألقى كلاماً[1]: وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿وفصلُ الخِطاب﴾ هو أن يحكم

ومابعده (بالبينة أواليمين) وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل [٢]، أما تعريف الخطاب إصطلاحاً فهنالك الكثير من التعريفات المتعارف عليها للدلالة على الخطاب ولعل أبرزها « إن الخطاب هو منهج في البحث في المواد المشكلة من عناصر متميزة ومترابطة سواء أكانت لغة أم شيئاً شبيهاً باللغة ، ومشتمل على أكثر من جملة أولية «[٣]، وقد تعددت الدلالات والمفاهيم الخاصة بالخطاب بتعدد مجالات الدارسين وتخصصاتهم فبينما يصيغه البعض ليقصره على أساليب الكلام والمحادثة يوسعه البعض ليجعله مرادفاً للنظام الاجتماعي برمته .[٤] أما (الدين) في اللغة ، فيعني (الجزاء و المكافأة ، ودُنْتهُ بفعله ديناً : جزيتُه وقيل الدّيْنُ المصدروالدين الاسم ، ويوم الدين ، يوم الجزاء ومنه قوله تعالى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقيل معناه مالك يوم الجزاء ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ (سورة الروم الاية ٣٠) أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي .[٥] وبسبب عالمية الدين وعموميته وتنوعه بين كل الكائنات الإنسانية منذ نشأة المجتمع البشري وحتى الآن فإنه يصعب الوصول الى تعريف عام وشامل في مختلف العصور فضلاً عن اختلاف ثقافة المتخصصين والمهتمين بدراسة مفهوم الدين ومضمونه فقد عرّفه أحد الباحثين الغربيين (راد كليف براون) بأنه : « تعبيرفي شكل أو آخر عن إحساس بالتبعية لقوى خارج أنفسنا قد ينظر إليها على إنها ، قوى روحية واخلاقية ويتم التعبير عن هذا الإحساس من خلال الشعيرة . « [٦]

ويعرفه (دوركايم) على انه « مجموعة موحدة من العقائد والعبادات المتصلة بالاشياء المقدسة تحكم و توجه كل من يؤمنون بها ، والمقدس هو ما يستبعد أو يحرم فالناس عندما يرتبطون بأشياء مقدسة أو يندمجون في طقوس دينية ينتابهم إحساس بالرهبة من الشيء المقدس .»[٧] ويتمظهر الخطاب الديني بوصفه أحد أنواع الخطابات التي تلتقي مع الخطابات الأخرى بإستخدامها للأدوات والوسائل الاقناعية ذاتها

الا انها تختلف عنها في المحتوى والمضمون ، فالخطاب الديني كثيراً ما يكون خطاباً وعظياً او دعوياً يتناول جزءٌ منه موضوعات متعددة كالترهيب والترغيب والإرشاد والتوجيه والدعوة الى الإسلام وقضايا الايمان والعقيدة والتوحيد ، مستعيناً الخطيب في كل ذلك بأحداث واقعية وأدلة من الشريعة الإسلامية ، كالزواج والطلاق ، وبر الوالدين ، والظلم ، وطاعة ولي الامر ، والرشوة والنميمة ، والكذب والحسد ، وغيرها [٨]

ولما كان الإحساس الوحشي بالزمن في عالمنا المعاصر وجنون السرعة يفقدان الانسان الشعور بالأمان ، لذا من المؤكد أن يصبح الشعور بالاغتراب هو المتنفذ والسائد وتغدو « علاقات الناس في مجتمع المدينة الصناعية المعاصرة متشابكة معقدة ، فيكاد المرء لا يجد لحظة واحدة ليرد السلام على صبي بريء لقي مصرعه عبر الطريق . »[٩]

وتصادفنا في معرض حياتنا اليومي الكثير من تلك المشاهد والعلامات التي لايسع المجال لذكرها او حصرها ، وعليه فهنا نستحضر القيم الدينية والأخلاقية في ذلك الخطاب الذي غايته الحقيقية هي إصلاح البشر والعمل على اعداده الاعداد الصحيح لتأدية مهامه وواجباته بالشكل الصحيح تجاه خالقه وتجاه مجتمعه مستنداً الى حقيقة مفادها ان الفرد و» حياته هذه التي يحياها ليست هي النهائية وانما هي مقدمة لحياة أخرى وانه اذ يرقد في مثواه فسيبعث من جديد ليلقى ما عملت يداه إن خيراً فخيرٌ وان شراً فشرٌ .» [١٠]

المبحث الثاني
حضورية الدين وآليات توظيف الخطاب الديني

يجب أن ندرك ان فهم الانسان لذاته ولعالمه يرتكز على اللغة التي هي المعبر الاول عن هذا الفهم فهي طريق المعرفه كما ذهب (لودفيغ فيتغنشتاين) (١٨٨٩ - ١٩٥١) ويضيف الى ان اللغه فكر فلا وجود للغة من دون فكر ولا وجود لفكر من دون لغة .. فهي حسية تظهر تجسيد الفكر وهي أي اللغة تعد

شكلاً حتمياً لكل معرفة علمية تطمح في أن تظهر كخطاب « [11] هذا الخطاب ولاسيما الخطاب الديني الذي كان وما يزال يشكل احد مستلزمات الوصول الى أعماق النفس البشرية وسبر اغوارها وهو يحتاج منا ان نتسامى بتلك اللغة الخطابية عن منزلقات الحداثة و تبعاتها حيث التصور العلماني للحياة الذي يفرض على كتّابه ومنتجيه تلك اللغة التغريبية التي تتساوق مع طبيعة حياتهم المنعزلة عن مبادئ السماء ، اما نحن – بصفتنا الإيمانية فيتعين علينا ان نكتب بلغة (توصيلية) تتوافق مع مهمتنا العبادية في الحياة مع الأخذ بنظر الإعتبار كلا من (حداثة اللغة) من جانب وتطبيقها بإسم (الاستقلالية) من جانب آخر فضلاً عن توفر عناصر الفن اللغوي من جانب ثالث .[12] ويمكن من خلال حضورية الدين في مجتمعنا المعاصر رصد مدخلين اساسيين المدخل الاول : انطلقوا من أطروحة التحول نحو العلمانية التي سيطرت على المناقشات الاكاديمية عن الدين في السبعينيات من القرن الماضي و يعد كل من (Peter.L.Berger) و (Tomas Luckman (من ابرز الباحثين الذين سلطوا الضوء على مفهوم خصخصة المعتقد الديني الذي يقصد به انحسار الدين وتموضعه داخل المجال الخاص اي بمعنى اخر ارتباط الدين بالفرد وليس بالمجتمع .[13] اما في ما يتعلق بالمدخل الثاني : فيركز على حضور الدين في المجتمعات الحديثة ويندرج تحت هذا المدخل ثلاثة اتجاهات : الإتجاه الأول ، يؤكد على وجود الدين في المجال العام مع ظهور مجتمع ما بعد العلمانية

وهذا ماتبناه (يورجين هابيرماس) ويكون الدين فيه شريكاً مهماً في المناقشات العامة حول القيم الأخلاقية والاستماع لرأي رجال الدين في المناقشات السياسية العامة . الإتجاه الثاني: يتمثل في الآراء اراء التي اقرت حضور الدين داخل المجال العام ، ((أي المجتمع)) دون تحديد ملامح هذا الحضور ، ويعد (كازانوفا) من ابرز انصار هذا الإتجاه ، اذ اعترض على فكرة خصخصه الدين فهو

يرى ان الدين مهم و بشكل فاعل داخل المجتمعات الحديثة عبر وسائل الاتصال والاعلام المختلفة .[١٤] الاتجاه الثالث: ويشابه هذا الاتجاه الاتجاه الثاني ولكن يختلف عنه قليلاً فمن حيث التشابه فهما يتشابهان من حيث كونهما يقران حضورية الدين في المجال العام ومن حيث الاختلاف فان اصحاب هذا الاتجاه يعترفون بحضوريته في المجال العام ولكن من منظور نقدي ، ويعد (Tomas Mayer) من أنصار هذا الاتجاه وبحسب رايه فإنه يمثل تهديداً محتملاً للأسس العلمانية للدول الحديثة .[١٥] وبناء على ما تقدم تتأرجح آلية توظيف الخطاب الديني في المجتمعات البشرية بين السلب والإيجاب لاسيما في مجتمعنا الإسلامي فمن خلال المنظور التأريخي لظاهرة الإحياء الإسلامي نجد أولى مراحلها وهي الحركة الإصلاحية على يد (جمال الدين الأفغاني) و (محمد عبده) كانت بمثابة رد فعل على السياق السائد في تلك الفترة والذي كان من ابرز خصائصه السيطرة الاجنبية على الشريان الاقتصادي العربي و الإسلامي وربطه بالرأسمالية الغربية ومصالحها ، فضلاً عن الزحف التغريبي في اكثر قطاعات المجتمع لاسيما في الجانب الثقافي والفكري وانتشار مظاهر التخلف والفساد .[١٦] فمهمة بعث الروح وتجديدها وديمومة عطائها بالإتجاه الصحيح هي من المهام الكبرى التي انيطت بالدين ووقعت على عاتقه فشأن الخطاب الديني هو « ان يحرر الإنسان من حيث المبدأ ويحرره بالمعنى الروحي لان الدين يخرج الانسان من فرديته وعزلته يجعل المطابقة بينه و بين الكون متاحة ، في الدين هناك صلة بين العالم المادي وبين العالم الماورائي ، فالإنسان المادي الذي لا يرى في الوجود الا المادة هو إنسان وحيد معزول يعتقد انه ذات مستقلة على هذه الفسحة من الأرض ثم تتلاشى «.[١٧] وهذا الرأي وهذا التوجه نحو التمسك بقيم السماء قد وجدناه ولمسناه عند اكثر اصحاب الفكر والقلم انفتاحاً ، فمثلاً يرى (توفيق الحكيم) إن الأجيال الجديدة

بحاجة الى الثقافة الجادة الشاملة التي كونت عقلية أدباء العشرينيات و الثلاثينيات من القرن الماضي ثم يضيف « فهل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بأشخاص لهم من انتساع الثقافة والايمان ما يجعلهم مؤثرين في تسخير السياسة والدين للتقدم والحرية للعقل والقلب معاً «[18] فالدين حينما يكون مقترناً بالعلم والعمل والإيمان يؤتي ثماره واكله فيخطئ الكثيرون من الغافلين و المتقاعسين عن مواكبة التطور الحضاري والعلمي الذي ينبغي ان يكون عليه الانسان ، حين يعتقدون ان سلامة الفرد لا تكون الا بمدى التزامهم الديني (الشكلي) بالفرائض التي الزمت الانسان القيام بها ونسوا او تناسوا أن مسيرة العلم تدخل في صلب الإيمان وخدمة الدين ، بل أن العلم تغلغل « حتى في المسائل ذات الصلة بالامور الدينيه وطقوسها ولقيت ترحيبا من لدن الطبقة المتوسطة المستهلكة « .[19] إذن فعندما يكون الدين بهذا الحال من الرقي و يتسامى بالروح فينطلق الجسد نحو البذل والعطاء فان ذلك يعني الكثير لأن (الدين هو العامل الوحيد الذي ينظم حياه الإنسان إزاء مجتمعه ويجعله وجهاً لوجه أمام الأمر الواقع ، فمهما كانت الرقابة الخارجية على الفرد ، سواء أكانت تلك الرقابة من دولة او لشخص تخشى سطوته بإمكان الفرد ان يرتكب الجريمةِ لو أمن جانب من يلاحقه .[20] وهكذا رويداً رويداً تتضح صورة وملامح الخطاب الديني وفعاليته حينما يراد له الفعالية والتاثير الإيجابي المستنير فلا يمكن ان يكون ذلك الخطاب اثر في المجتمع بمعزل عن الخطاب المجتمعي العام كالفن والأدب على ان يكون فناً هادفاً وثقافة توعوية وادباً يليق بذائقة متلقيه اذ « لا يمكن لدين يبشر بحضارة (القلم والكتاب) حضارة شعارها يقرا ان يحارب الفكر والثقافة والفنون التي تدعو إلى عمق التأمل في الكون والطبيعة والوجود والمصير ، ذلك لأن الإسلام هو الذي يرفع ايضا شعار التفكير فريضة اسلامية « [21]، وعليه فان خطاب العقل لا ينحصر في العقل الواسع ولا في

العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح بل يشمل طبقات المجتمع كافه على اختلاف ثقافاتها ودرجة وعيها ،[٢٢] تماشياً مع قوله تعالى ﴿ لَو أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾«الحشر-٢١» إن التأكيد على دور العلم والاهتمامات المجتمعية الاخرى ومسيرتها الجانب الروحي للفرد والمجتمع لا يعني اننا ننحاز كلياً الى العلوم المادية التي تسعى لتحويل البشر الى آلة صماء و ماكنة عمل ترمى على قارعة الطريق في أول عطل يصيبها وللأسف هذا ما اصاب بعض المجتمعات المادية اللاهثة وراء تلك المطامع الدنيوية وللأسف أيضاً طال هذا المشهد الكثير من مجتمعات العالم و منها الإسلامية فعدم عنايتها بالجانب النفسي والروحي للبشر أفقدها إنسانيتها ، ما نجم عن ذلك انتشار الأوبئة الأخلاقية كشيوع الجريمة وانعدام الروابط الإنسانية وتحلل روابط الأسرة و قواعد الاخلاق و أفضى ذلك الى جعل الانسان المعاصر يرزح تحت كابوس ثقيل جراء الظلم والغبن الذي لحق به و عانى منه كثيراً[٢٣]. واذا كانت الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في تحقيق التضامن والانسجام الإجتماعي من خلال ربط الافراد بمجتمعهم عن طريق فهم الواقع و المفاهيم المشتركة كما عبر عنه (دوركايم) وبأن الدين يسهم بدرجة كبيرة في تحقيق النظام والضبط الاجتماعي .[٢٤] اذن فلا غرابة بعد ذلك ان يكون التوجه نحو الخطاب الديني الصحيح وسيلة في بسط نفوذه لإحتواء الجمهور وتطلعاته بوصفه سلطة ناعمة بدلا من استخدام العنف والقوة المفرطة .. وعن أهمية الاسلوب الخطابي وما يحدث من تأثير يقول (مارتي لافو) عن دراسته اسلوب (كورني) « اننا لا نستطيع ان ندرك لدرجة كافية سر جمال المرأة التي تفيض نظراتها وابتساماتها سحراً ، كذلك نحن لا نستطيع ان ندرك لدرجة كافية سر الجمال في اسلوب خطيب عبقري أو كاتب بارع أو شاعر نابغ)[٢٥] فالتعبير الموضوعي عن عقلية

الجمهور أصبح بيد المؤسسة الدينية وتوابعها فتلك المؤسسة تبقى اليوم وغداً من أهم مؤسسات التشكيل الثقافي ولا نجافي الحقيقة ابداً اذا ما قلنا بأن جميع مصادر التشكيل الثقافي على تنوعها تنتهي مرجعيتها عند حدود الخطاب الديني الذي لا يمكن تقييده بمكان او زمان معينين بل يجد مداه على رقعة جغرافية أوسع ما تحيّده مساحة مسجد أو ندوة او محاضرة وعلى سبيل الذكر لا الحصر لم تكن شخصيات الماضي الدينية العظيمة التي تمكنت من عقول مريديها وقلوبهم تفتقد الى حسن الدعابة او المرح لأنهم بإختصار كانوا بشراً فطنين وبحسب الميدراش سئل موسى(ع) لماذا سأل الله (العليم بكل شيء) : (آدم اين أنت ؟ عندما راح يفتش عنه في جنة عدن بعدما جرى في حادثة التفاحة فآجاب موسى « بتلك الطريقة سعى الله الي تعليمنا حسن السلوك فمن قلة الأدب الدخول إلى منزل شخص آخر من دون أن تعلن عن نفسك أولاً »[٢٦] والمسيح (في الترجمة اللاتينية للقديس جيروم) مازح بطرس بتورية ساذجة (اسمك بطرس (Petrus) وعلى هذه الصخرة (petram) سأبني كنيستي) وكان النبي محمد(ص) رؤوفا بقومه لين الجانب معهم وروي عنه (ﷺ) « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب اذا كلّت عميت »[٢٧] وفيه قال تعالى الله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾[آل عمران ١٥٩] نستشف من ذلك بأن من أبرز سمات الخطاب الديني هو ان يكون تربوياً و موائماً ومتواشجاً مع المتلقي ومراعيا في الوقت نفسه درجة ثقافته ووعيه فإن أوضح الممارسات التربوية لذلك الخطاب هو الذي يشخص الانحرافات والظواهر السلبية ويسعى لدعم السلوك الايجابي ورسم الخطوط لتحركات الجمهور وثقافاته و تعددت مشاهد الخطاب الديني اليوم وتعددت طرائق تناوله فأنت تجده فضلاً عن مكانه التقليدي عند رجال الدين و خطباؤه . تجده في وسائل الإعلام والاتصالات المختلفة في السينما والتلفاز وعلى خشبة المسرح

على حد سواء . ففي رواية (عندما تشيخ الذئاب) يسرد لنا الروائي الراحل (جمال ناجي)[1]* الأردني الجنسية الفلسطيني الأصل أحداث وقعت في العقدين الأخيرين تدور فكرتها حول استغلال الدين ابشع استغلال واستعماله واجهة وغطاء لتمرير مطامع المستغلين والمتسلقين على أكتفاء الفقراء والمستضعفين ، فكان خطابا اجتماعيا دينياً وصرخةً مدوية احدث ضجة اعلامية كبيرة على مستوى الشارع لاسيما بعد ان حولت الى عمل درامي كبير فعلى لسان احد ابطال الرواية وهو (عبد المهدي ربيع) الفارع الطول ذو العين الكريمة وقف قائلاً بإحتكام « يا سيدي الشيخ ، ألم تقل لنا ان الإسلام مستهدف ؟ وان الناس أصبحوا قاب قوسين او أدنى من الكفر ؟ أنظر الى ما فعله عزمي ؟ ألا يعد هذا غزواً على أموال المسلمين ؟ أنظر الى السماء التي لم تمطر حتى الآن مع ان آلاف من المصلين أدوا صلاة الإستسقاء آلا يدل هذا على غضب من الله ؟ الا يكفينا ما تفعله الحكومة والتجار الذين لا يعرفون الله ؟ لقد جوّعوا الناس وعرّوهم من ثيابهم [...] انظر الى قضية فلسطين التي صار الكل يتجنبها مثل الجمل الأجرب على الرغم من عدالتها وقداستها ؟ ما الذي حدث لهذه الامة ؟ وكيف نسكت على من استولى على أموال المسلمين ؟[28] .

وفي مسرحية (سليمان الحكيم) المسرحية التي قادنا فيها الاديب (توفيق الحكيم) الى رؤية ثانية وقراءة جديدة للدين ، حين لا تكون سلطة مطلقة تعصم صاحبها من الزلل وان القوة بدون الحكمة لا تساوي شيئاً

« سليمان : آه يا بلقيس ! ليس يخشى على الحكمة من شيء غير القدرة « [29] ثم يطلعنا على رؤيته الفلسفية للدين وابعادها على ارض الواقع .

« سليمان : إن الدين هو حقيقة القلب الإنساني .. بما فطر عليه من خير وشر .. انه الإحساس المجرد بقصورنا نحن الآدميين عن بلوغ الكمال . . وسعينا المتصل نحو الخير ، متعثرين أحياناً في أذيال غرائزنا الشريرة .. الدين أمل وعزاء ! نعم انه الأمل والعزاء الصاعدان من

أعماق تلك الدعوة الصادقة « [٣٠] وفي المشهد السينمائي كان الخطاب الديني حاضراً ولعل ابرز ما تناولته السينما هو فيلم (مولانا) الذي عد في رأي النقاد من أفضل الاعمال السينمائية التي قدمت على مدار العشرة أعوام الماضية ، لانه اعطى المفهوم الصحيح للدين بعد محاولة الجماعات الإرهابية والمتطرفة اختطافه وتشويهه .. وهذا الفيلم مأخوذ عن رواية الكاتب الصحفي المصري (إبراهيم عيسى)[٢]* الموسومة بـ (مولانا) فعلى لسان والد البطل كان هذا الحوار مع ابنه الشيخ حاتم بطل الرواية ..

« قال له ابوه : ما لك يا حاتم ؟!

ـ رد : خير يا بابا ؟

ـ أجاب الاب : ما لك لا تصدق انك شيخ !

كان مأخوذاً من الملاحظة ؛ ليس لأنها مفاجئة ، وليس لأنها صائبة ، بل لأنها جاءته من كائن ظن انه اكتفى بالفرجة في سنواته الخمس الأخيرة ، فأجاب : وهو انا شيخ يا بابا ؟!

ـ اذن انت ايه ؟ اذا لم تكن شيخاً فماذا تكون ، انت تحفظ القرآن وتتلوه ، وتؤم الصلاة ، وتخطب في الناس ، وتحفظ الفتاوى ، وتفتي ، وتملك ذخيرة من قصص السيرة تضعك في مصافِّ الشيوخ ولاشك ، بل نجاحك مع الناس يضعك في مقدمتهم.

وتنهّد وهو يبوح بما لم يبح به حتى لنفسه صراحة وراحة ..

ـ وهل هذا يبقى شيخاً ، هذا موظف بدرجة شيخ ، عارف انا ايه يا بابا ، انا تاجر علم !»[٣١]

وهكذا نرى ان الخطاب الديني قد شغل مساحة من فضاءات الاجناس الأدبية والفنية « و أن هذا التناغم ما بين عالم الدين و عالم الادب يؤكد لغة الخطاب المشتركة بينهما بحكم تجانس عالميهما فـ (عالم الدين وعالم الأدب يهدف كل منهما الى تجميل الحياة واعطائها قيمة وهدفية وكل منهما يهدف الى فائدة الانسان وإسعاده وجعله قيمة كبرى في هذه الحياة . »[٣٢] ولا نذهب بعيداً بل هو عود على بدء اذا ما قلنا بأن الدين وخطابه قد استخدما بشكل سافر وغير أخلاقي من قبل

الساسة ودعاة الحرب ومروجي الفساد في الارض فكثير من هؤلاء استخدموا الدين لأغراض شتى ولغايات في أنفسهم ، فالرئيس الأمريكي السابق (بوش الابن) استخدم خطابا دينياً منمقاً حرك من خلاله مشاعر الأمريكيين عند خوضه الحرب على العراق وحرص في اكثر من مرة على استخدام مصطلحات الكتاب المقدس . وزعم بأن الله اوكل اليه مهمة الهية عظيمة ، و في احدى المقابلات صرح ان الله قد زاره في البيت الأبيض وبارك له تلك الحرب ، وزعم ايضاً بأن هناك ضرورة لبناء هيكل سليمان على جبل الزيتون مكان المسجد الأقصى ، ليكون سبباً بعودة المسيح بسرعة، وهذا ما يتطلب هدم المسجد الأقصى الذي يعد من اكثر الأماكن قدسية لدى المسلمين . «[٣٣] وعليه فأن الذين يراهنون على البطل الثوري في واشنطن الذي سيقوض النظام الرأسمالي وينصف المظلومين ويحرر فلسطين ويسحب قوات الاحتلال من بغداد هم ضحايا وهم كبير « [٣٤] ولكي نكون على قدر من الموضوعية والمسؤولية يجب ان نكون منصفين في قضية تناول الخطاب الديني من زاوية أخرى هي الناحية الإيجابية . فعلى الرغم من وجود الدوافع والمصالح الشخصية وراء التوظيف الإيجابي للخطاب الديني علينا ان نستشعر الغاية والهدف من وراء ذلك الا وهو فعل الخير والسعي بإتجاهه وهو مافعله الرئيس السادس والاربعون للولايات المتحدة الامريكية (جو بايدن) عندما ضمن خطابه الموجه للشعب الأمريكي حديثاً نبوياً شريفاً حين أستشهد بقول نبينا محمد (ﷺ) (من رأى منكم منكراً فلْيُغَيِّرْهُ بيَده ، فإن لم يستطعْ فبلسانهِ ، فأنْ لم يَستطِع فبقَلبِه وذلك أضعفُ الإيمان) [٣]* وعلى غرار ذلك ومن قبله فعلها الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية (إبراهام لنكولن) حين إستهجن خطاب القس في الكنيسة عندما سأله مستشاره كيف وجدت خطاب القس سيدي الرئيس ؟ فبادره لنكولن : لقد استشهد بالإنجيل ، وكان كلامه فصيحاً ولغته سليمة ،

فقال له مستشاره : اذن كان خطاباً ناجحاً ؟! فرد عليه الرئيس بالقول : لم يكن كذلك ، لأنه لم يطلب منا فعلاً عظيماً نخدم به الناس . وهذا المعنى يقارب المعنى الذي انتهجه بايدن باستشهاده بحديث الرسول المشار اليه أعلاه لانه أراد ان يقرن القول بالعمل من خلال صيغة الامر التي تضمنها الحديث النبوي الشريف والسعي الى التغيير .[٣٥]

الخلاصة والنتائج

يعد الدين احد المكونات التراثية ان لم يكن أهمها فلاشيء يؤثر بالنفس كالدين ، فهو صورة الإنسانية التي القت بظلالها على عالمنا على مر التاريخ والعصور وهو عجلة التواصل التي تقربنا بعضنا من بعض أقليات وقوميات وطوائف واعراقاً ان نشر المحبة بين أوساط المجتمع وربطها بالقيم الدينية لهي اصدق تعبير واجمل صورة عن توظيف الخطاب الديني وتفعيله بالاتجاه الصحيح لبناء مجتمع معافى يحتكم الى قوانين الالفة والمحبة اذا ما علمنا بأن الدين هو الايمان بعينه والايمان بالشيء هو بالتأكيد نتاج المحبة ، يقول الكاتب المسرحي الأمريكي (جوتشكين) « العنصرية تقول لنا ، ان العنصر مهم جداً ، وان علينا ان نعيش بخوف وحقد ، وان الألم الإنساني والوحدة هما المهمان كثيراً ، ثم يضيف ليس لدينا خيار سوى ان نفتح انفسنا امام الشجاعة والمحبة .. الألم والوحدة عندما نعرفه حقاً في انفسنا ولدى الاخرين ، يجعلان العنصرين وكلام العنصرين يبدوا غبياً وضئيلاً ، العنصرية هي الخرس الذي يصيب القلب ، وبهذا المنطق يستظل البشر تحت خيمة الدين ، فالناس اما اخوة لنا تحت خيمته او نظراء لنا في الخلق وتلك لعمري رسالة عظيمة « ومن كل ما تقدم نخلص الى القول بأن الخطاب الديني بشكل عام والخطاب الديني الإسلامي بشكل خاص حين يكون متسلحاً بالعقلانية والالتزام والإتزان ونفاذ البصيرة سيحقق نتائج طيبة وباهرة على صعيد المجتمع المحلي بل والإنساني فيعبر تعبيراً صادقاً عن الجوهر الحقيقي للدين وإسلامنا الذي أراده الله لنا .

الهوامش:

١ * جمال ناجي محمد إسماعيل، هو روائي وقاص أردني من أصل فلسطيني، عاش طفولته في أريحا، ثم انتقل إلى عمّان إثر نكسة حزيران ١٩٦٧ وأقام فيها وتلقى تعليمه حتى حصل على دبلوم في الفنون من كلية تدريب عمان في عام ١٩٧٥ . ينظر : رواية عندما تشيخ الذئاب : جمال ناجي ، ط٢ (عمان : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٠)

٢ * إبراهيم عيسى (نوفمبر ١٩٦٥ -)، صحفي مصري. وتولى رئاسة تحرير صحيفة الدستور المصرية اليومية حتّىٰ أقاله مالك الجريدة السيد البدوي في أكتوبر ٢٠١٠ بسبب إصراره على نشر مقالة لمحمد البرادعي عن حرب أكتوبر . ينظر الى : مولانا : إبراهيم عيسى ، ط١ ، (القاهرة : دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر ، ٢٠١٢)

٣* من خطاب المرشح الديمقراطي للرئاسة الأمريكية جو بايدن.. حيث يستشهد بحديث للنبي محمد (ﷺ) في حملته الانتخابية . المصدر مشاهدة الخطاب من خلال قناة اورينت الفضائية وكذلك بثته معظم الفضائيات https://www.youtube.com/user/OrientTelevision

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١- لسان العرب : ابن منظور ، مر: د.يوسف الباقعي وآخرون ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٥ ،ج١ ، ص١١١٤

٢- مقدمة في نظرية الخطاب : ديان مكدونيل ، تر:د.عز الدين إسماعيل ، القاهرة ، المكتبة الاكاديمية ، ط١، ٢٠٠١ ، ص٣٠

٣- تحليل الخطاب واشكالية نقل المفاهيم (رؤية مقترحة) : محمد الصفار ، مجلة النهضة ، م٦ ، ع٤ ، أكتوبر ٢٠٠٥ ، ص١٠٠

٤- لسان العرب : ابن منظور ، ص١٣٥٣

٥- علم الاجتماع الديني : عبد الله الخزرجي ، رامتان ، جدة ، ١٩٩٠ ، ط٢، ص ٣٣

٦- ينظر : النظام التربوي في الإسلام : باقر شريف القرشي ، دار التربية ، مطبعة اوفيست نديم ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٩٢

٧- دور الدين في الابداع الشعري بين الحضارة العربية والحضارة الإسلامية : أ.د سعد دعبس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص٢٨٤

٨- الطبيعة في القرآن الكريم : د. كاصد ياسر الزيدي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، ص٣٤٠

٩- أبناء هوسرل يتكلمون (عصر اللغة

وتحولات الفلسفة المعاصرة) : الشريف منجود ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٧٢٥ ، نيسان ٢٠١٩ ص٢١-٢٢

١٠- ينظر : د. محمود البستاني مفكراً اسلامياً : الشيخ محمد الساعدي ، مطبعة امير ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص١٥١

١١- ينظر المجال العام : الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام : تر: احمد زايد ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٢ ، ص١٧

١٢- ينظر : الدين والثورات السياسية (الحالة المصرية انموذجاً) : هاني خميس ، مجلة رؤى استراتيجية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، عدد ١٣ ، أبو ضبي ، ٢٠١٤ ، ص٤٢-٤٣

١٣- المصدر السابق نفسه ، ص٤٤

١٤- ينظر : الدين والمجتمع : د.ناجح محمد هلال ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ٢٠١٨ ، ص١٤٢

٥١- الأسطورة مكون أساسي من مكونات الدين : فراس السواح ، مجلة الاشراف ، المجلس الثقافي للآداب والفنون ، الاسكندرية ، العدد٢ ، ٢٠٠٨ ، ص١٤٦

١٦- الخطاب المسرحي في العالم العربي (١٩٩٠ - ٢٠٠٦) : د.وطفاء حمادي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب وبيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٣٤

١٧- ثق بي فإني عليم : بروير هودبوي وآخرون ، الموسوعة الثقافية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٩ ، ص٢٣

١٨- الزواج في القرآن والسنة ، عز الدين بحر العلوم ، دار الزهراءؑ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ ، ص١١٤

١٩- دور الدين في الابداع الشعري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص١٧٤-١٧٥

٢٠- ينظر : عصر الدول والإمارات مصر والشام : د.شوقي ضيف ، دار المعارف في مصر ١٩٨٤ ، ص٢٨٣-٢٩٦

٢١- ينظر : النظام التربوي في الإسلام : مصدر سابق ، ص١٤

٢٢- ينظر : دراسات في الاجتماع الديني : سامية الخشاب ، الكتاب الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٥٣-٥٦

٢٣- عصر القرآن : محمد مهدي البصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ ، ط٣ ، ص٣٦

٢٤- فن القراءة : البرتو مانغويل : تر. جولان حاجي ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠١٦ ، ص٢٤٣

٢٥- المصدر السابق نفسه : ص٢٤٣

٢٦- فن الترويح عن النفس : هادي المدرسي ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، ٢٠١١ ، ص٧٣

٢٧- ينظر : مجمود البستاني مفكراً اسلامياً ، ص١٦٠

٢٨- ينظر : عندما تشيخ الذئاب : جمال

ناجي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط٢ ، ٢٠١٠ ، ص١٠٨
٢٩- سليمان الحكيم : توفيق الحكيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٣ ، ص١٤٢
٣٠- المصدر السابق نفسه
٣١- مولانا : إبراهيم عيسى : دار بلومزبري ، مؤسسة قطر للنشر ، ط٢ ، ٢٠١٢ ، ص١١
٣٢- الملامح العامة لنظرية الادب الإسلامي : د. شلتاغ عبود ، دار المعرفة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٤٥
٣٣- ينظر : بوش ويوم الرب العظيم : شادي فقيه ، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع والتسويق ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٢-١٣
٣٤- أوباما مسلماً : انيس الديغيدي ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص١٥٧
٣٥- ينظر : ابراهام لنكولن : محمود الخفيف ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ص٨٣-٨٥

Religious discourse and its impact on society.

Research summary:

The phenomenon of social backwardness and a misconception of the religious issue and its interpretations are still one of the inhibitors and problems that hinder the paths of progress in our societies, and at a time when we are still floundering in the theaters of life and live on the pillars of religious ideological thought based on mechanisms of general anesthesia and destruction of the mind, we find the correct religious discourse It is what returns the chariot of life to its right track. Religion is a program of action and reform, contrary to what some perceive as a commitment to statutes, duties and formal rituals, ignoring intentionally or unintentionally its essential teachings that are at the core of faith and its strength.

Hence, this research came which stresses the role of religious discourse and its effectiveness in preserving the structure, cohesion and progress of society. For the speech to be in this way of description in influence and effectiveness, it must be based on a broad and more comprehensive base, so it should not be restricted to one individual without another. Rather, the discourse must be pervaded by all that the human mind has in terms of a characteristic or a function

جولييت